خارج العالم الإسلامى

تمتــد النزاعات والفتن التى يكتوى بنيرانها المســلمين تجد هذا من أقصى دول العالم إلى أقصاها فى كشمير بين الهندوس والمسلمين.

وفى روسيا بين الشيشان والروس.

وفى البوسنة والهرسك بين المسلمين وبين الصرب.

وفى قبرص بين القبارصة الأتراك وبين القبارصة اليونانيين.

وفى الصين بين الإيجور المســلمين وبين غير السلمين فى أقليم شينج يانج (تركستان الشرقية).

وفى تايلاند بين المسلمين وبين البوذيين.

وفى الفلبين بين المسلمين وغير المسلمين فى منطقة أو جزيرة ميندناو.

وبات مألوفا فى ظل هذه الأوضاع البائســة، أن يشــار إليهم بأصابع الاتهام عند وقوع حادث إرهابى ونســبته إليهم من منطلق هذه الخلفية وتعدى ذلك إلى أن أصبحت المظاهر الإسلامية مرفوضة فى دول الغرب، مثــل: لبس الحجاب، أو ذبح الأضاحــى. فإنها تحارب من الأوربيين باعتبار الحجاب رمزا للقهر والاستعباد وليس رمزا للهوية الإسلامية. أما ذبح الأضحية فهى قسوة مفرطة بالحيوان يتعارض مع حقوق الحيوان.

أهمية التماس الحلول من داخل المنظومة الإسلامية

حتمية العمل الجاد الواعى المخلص لدرء الشبهات، وتصحيح صور الإسلام

فى ضوء هذا الفزع فإن صورة الإسلام والمسلمين الراهنة فى المجتمعات

الإسلامية، وفى النطاق العالمى تبعث على الأسى وتثير الحزن، لكنها تتطلب وتستوجب الخروج من هذا المأزق وتبنى خطة ترتسم معالمها فى عمل جاد واع ومخلص، يعمل على رد الشبهات عن الإسلام وتصحيح صورة هذا الدين.

إبراز حقيقة الإسلام بالرد على المزاعم الغربية

حيث إن الإسلام دين يغرس الهدايات الإيمانية، ويكرس العبادة لله وحده رب العالمين، باعتباره خالق الوجود الحقيق بالعبادة.

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[سورة طه: الآية ١٤].

فإنه يقدم رؤية ناصعة عن الدين الصحيح الذى يحدد مقومات الرسالة الإلهية والأصول التى تتأسس عليها، وهو ما يدحض مقولة إن الإسلام هو خليط من بقايا تحريف الوثنية.

الحرية أساس إسلامى

يرسى الإسلام الحرية الإيجابية والبناءة فى علاقة الإنسان بالإنسان، على مستوى الفرد، وعلى نطاق الجماعة، فالعبودية إنما تكون لله وحده، والبشر أحرار ومتساوون فى مواجهة بعضهم البعض، لكنها الحرية المسئولة لا الحرية المنفلته.

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [سورة مريم: الآية ٩٣]. وهى بهذا المعنى تحمل فكر المساواة بين البشر على اختلاف أحوالهم.

وفى الحديث: «الناس سواسية كأسنان المشط»، والله خلق الناس مختلفين فى الأجناس والأديان والألوان والأوطان وفقا للمشيئة الإلهية والسنن الكونية. كما أنهم مختلفون فى الأفكار والآراء، عليهم واجب التفكير فى الملكوت الإلهى واسكناه أسرار الكون وتوظيف الإبداع العلمى والمعرفى لتقدم الإنسان وبهذا يعترف الإسلام باختلاف الآراء والأفكار. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الجاثية: الآية ١٣].

وقانون الاختلاف معترف به فى الإسلام

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: الآية ١٠].

واختلاف البشر سنة كونية وآية ثراء فى الخلق والكون وتعبير عن ملكة الإبداع: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: الآية ١١٨].

لهذا كانت الدعوة إلى الإنسانية والتعايش مطلوبة فى الإسلام. والدعوة إلى الإنسانية والتسامح جد مطلوب فى النصوص الإسلامية كوسيلة لا مفر منها لتشييد العلاقات بين الأمم والشعوب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣].

والتعارف يقتضى التفاهم والتآلف، وهى درجة تعلو درجة التعايش المشترك، مما يجعل التعايش متحققا لبلوغ التفاهم والتآلف.

كما أن فكر العنصرية والاستعلاء مرفوض فى الإسلام بمقتضى وحدة الخلق والنشأة.

وفى الحديث الشريف، تقرير لوحدة الأصل الإنسانى، والمشترك الحضارى: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى».

الوفاق وعدم التشرزم والفرقة ركيزة إسلامية

فالإسلام يدعو إلى الوفاق وجمع الشمل، ويمنع التنازع وينهى عن الصراع، ويعمل على وأد الفتنة فى مهدها، فالفتنة نائمة ملعون من أيقظها، وما ذلك إلا بسبب المخاطرة الناتجة عنها وتهديدها لنظام المجتمع:

فى القرآن الكريم يقول الله تعالى:

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩١].

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٧].

﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦].

والمسلم مأمور بالوحدة ونبذة الفرقة والانقسام»

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٥].

وفى السنة المطهرة: يقول الرسول ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على قلب رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه بالسيف كائنا من كان».

وفى الحديث: «إذ التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار».

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

فهذا الفكر يرسخ الأمان فى المجتمع، ويجعل من الأمن والاستقرار وسيلة قوة للنظام الإسلامى.

نداء الإسلام يؤصل العالمية، والرحمة بالإنسانية

ذلك أن الخطاب الإسلامى منحاه العموم والشمول للبشر جميعا، وتجلياته تبرز فى توجيه الخطاب للبشرية، وتصديره بـ يا أيها الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦٨]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الاعراف: الآية ١٥٨]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [سورة النساء: الآية ١].

بل إن رسالة الإسلام جاءت رحمة للبشرية كلها، وهى رسالة تبشير وتيسير، لا تنفير ولا تعسير.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: الآيات ٤٥ – ٤٦].

هذه المساحة الرحبة فى الخطاب العالمى تتسع ليشمل الرجل والمرأة تأسيسا على أن الأصل المساواة بينهما فى الحقوق والواجبات إلا ما استثنى بنص خاص، ويقرر الإسلام الشخصية الأصيلة للمرأة فى الخلق وفى المجتمع.

ففى الحديث: «النساء شقائق الرجال».

وأنهما فى التكاليف واستحقاق الأجر سواء.

وفى القرآن:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٧١].

والرجل والمرأة مدعوان معا للعمل البناء النافع للأسرة والجماعة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: الآية ٩٧].

كما أن لكل منهما أن يتبوأ المكانة التى يستحقها بحسب إمكاناته وجهده أن يحصل على نصيبة على وفاق ما يؤدى، ويؤجر على قدر ما يعطى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٢].

ومفاده أن المرأة شريك الرجل ورفيقه على درب البناء والعطاء، وقد كانت المرأة شريكة للرجل فى الغزوات على عهد الرسول ﷺ.

كما أرست المرأة حجر الأساس لإقامة صرح دولة المدينة وبايعت بعض النساء مع الرجل الرسول –صلوات الله عليه – وكانت طرفا ومكونا فاعلا فى العقد الاجتماعى الذى شيد الدولة الإسلامية، وأرسى دعائمها.

وساهمت المرأة مع الرجل فى العمل الاقتصادى، كما حدث فى مشاركة السيدة فاطمة مع الإمام علىّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه، والسيدة أسماء مع الزبير بن العوام ، وغيرهن.

ومن هنا يظهر تهافت المزاعم الغربية بتهميش دور المرأة، وتصويرها بأنها تخضع للقهر والاستعباد، وأنها أسيرة لأوامر الرجل ونواهيه لا شأن لها معه، ولا اعتداد برأيها فى مواجهته.

ويشمل الخطاب الإسلامى المسلم وغير المسلم، إذ إن لكل منهما

حقوقا وواجبات، فحق غير المسلم كالمسلم فى الحياة والكرامة وتوفير مطالب الحياة الضرورية، وفى الخصوصية الدينية باعتباره عضوا فى المجتمع، وحماية حقوقه تضحى مسئولية المجتمع الإسلامى كله، ولا أدل على ذلك من قول الرسول : «ألا من ظلم مسلما أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته فأنا خصيمه يوم القيامة».

قبول الإسلام وتعايشه مع كل المخالفين

أما الدائرة الأكثر شمولا فى التعايش مع الآخر مهما كان دينه ومعتقده، حتى لو كان خارج إطار الديانات السماوية وهو ما يعنى قبول أصحاب المعتقدات الوضعية والمشركين من الصابئة والمجوس وغيرهم من الذين يعبدون الأرباب من دون الله على تعدد أشكالها وطقوسها، واعتبارهم شركاء فى الحياة وشئون المعايش، والتعاون فيما فيه خير البشرية، وترك أجورهم وحسابهم على الله. وهو فكر غاية فى الإنسانية يعادى العنصرية والتعصب. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة الحج: الآية ١٧].

ودلالة النص فى مقصود الكونية أو العالمية ظاهر، فهو يقرر أنه لا حق لأحد فى إقصاء المخالف مهما كانت عقيدته سماوية أو غير سماوية، فإنه يتمتع بحقوق الإنسان، وهو يحوز الخلافة عن الله من منطلق أنه بشر، فبهذه الصفة وحدها بها يتمتع الإنسان بحق الحياة وما يتفرغ عنه من حقوق، أما أمر العقائد فحسابهم فيها على الله.

البرهان طريق الاعتقاد

وليس صحيحا بالمرة أن الإسلام دين عدوان وصراع، وأنه يكره الآخرين ويفرض عليه نموذجه الدينى وأسلوبه الحياتى. ذلك أن دعوة الإسلام تقوم على الحجة والإقناع لا السيف وشهر السلاح على الأغيار.

وفى القرآن الكريم:

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة الأنعام: الآية ١٤٩].

﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: الآية ١١١].

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل الآية ١٢٥].

حماية حق الاختيار والحوار مع المخالف

ومجال حماية الاختيار، والحوار مع المخالف، وصون حقه فى الاختلاف مقرر بشكل قطعى وبات لا مساومة فيه ولا جدل حوله، وهو دعوة إلى تعاون الجميع على التوصل للحق والمصلحة.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤].

والمسلم مطالب بالحفاظ على أرواح وحياة الآخرين

ففى الحديث: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم».

وهذا يكمل المنظومة الإسلامية فى حقن الدم، وحماية حق المسلم فى الحماية.

يقول الرسول ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وفى رواية: تؤكد الحديث الأول: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده».

وهو ما يؤكد على رفض الإسلام للإرهاب، بل يعتبره جريمة حرابة، وهى من الحدود التى يقرر لها الشرع عقوبة شديدة تناسب خطورتها وأثرها المدمر على المجتمع.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: الآية ٣٣].

بل إن الإرهاب يمارسه الغرب ضد المسلمين، لمجرد ممارسة الحق الشخصى فى ارتداء المرأة الزى الذى يعبر عن الهوية الإسلامية، كما حدث مع الصيدلانية مروة الشربينى، وما فعله المتطرف الألمانى معها بما يمثله من وحشية وعنصرية بغيضة من جانب متطرفين أوربيين ضد فتاة مسلمة، بالمخالفة لتعاليم الأديان، وخرق للمواثيق العالمية، وعلى رأسها الميثاق العالمى لحقوق الإنسان.

* * *